Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (3), Issue (12): 30 Dec 2019
P: 183 - 193

ISSN: 2522-3380

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (3)، العدد (12): 30 ديسمبر 2019 م
ص: 183 - 193

The Conceptual Apparatus for a Critical Analysis of Speech: Discourse and Authority

Hammani Hassane
Facultés Poly-disciplinaires || Errachidia || Morocco

Abstract: This article sums up the discussion of a deep structural, linguistic and communicative theory. It is related to different but interconnected fields that enable a meticulous approach to the text, for it focuses on different aspects: starting with the outer layer, going through the structure and ending with its reception. It is the critical discourse analysis, which is a modern linguistic approach that works on the explanation and interpretation of language by going beyond the structure of a sentence and the textual interrelations to reach all the dominant social and historical contexts.

Its goal is to analyze the discourse from a critical perspective through scrutiny, refutation and questioning. This approach has been part of the discourse analysis theory since the 60s as a body of knowledge that combines different fields, such as politics, sociology, psychoanalysis and rhetoric. It is concerned with studying political communication in society.

Keywords: Power, Dominance, Control, Social System, Social Structure, the critical discourse analysis.

الأجهزة المفهومية للتحليل النقدي للخطاب: الخطاب والسلطة

حماني حسن
الكلية المتعددة التخصصات || الراشيدية || المغرب

الملخص: يلخص لنا هذا المقال الحديث عن نظرية بنائية لغوية تواصلية عميقة، تربطها بمجالات مختلفة أواصر قرابة، تمكنها من مقاربة النص مقاربة دقيقة، حيث تراعي فيه جوانب متعددة ابتداء بالمحيط الخارجي، مرورا بالبنية، وانتهاء بتلقيه. وهي نظرية التحليل النقدي للخطاب، بكونها إحدى المقاربات اللسانية الحديثة التي عنيت بالاشتغال على اللغة تفسيرا وتأويلا متخطية نطاق الجملة، والعلاقات الداخلية للنصوص إلى السياقات الاجتماعية والتاريخية المهيمنة. والتي تهدف إلى تحليل الخطاب من وجهة نظر ناقدة مبنية على التمحيص والتفنيد والمساءلة. وهي مقاربة تندرج في إطار نظرية تحليل الخطاب منذ تأسيسها في فترة الستينات. باعتبار تحليل الخطاب حقلا معرفيا جامعا لحقول معرفية متباينة مثل السياسة والاجتماع والنفس والبلاغة، ويهتم بدراسة التواصل السياسي في المجتمع.

الكلمات المفتاحية: القوة، الهيمنة، السيطرة، النظام الاجتماعي، البنية الاجتماعية، التحليل النقدي للخطاب.

مقدمة

يشكّل التحليل النقدي للخطاب جسرا بين مجالات معرفية متباينة، متكاملة، ومترابطة فيما بينها ارتباطا وثيقا مثل (التحليل اللغوي للنص، والسياسي، والتاريخي والاجتماعي)، ويستند إلى مجموعة واسعة من المعاني، والدلالات، معتبرا أن سيرورة المعنى مكونا في كل السيرورات الاجتماعية المادية لا يمكن تجاوزه. هذه الأخيرة يمثل فيها الوعي الذاتي شرطا مسبقا لتحققها، والتي تحدد الهوية في الخطاب، قصد تشييد الهويات الاجتماعية، بما في ذلك تحديد الهوية في الخطاب. وقد حظيت مواضيعه بأهمية كبيرة في هذا المجال، ومنها: الصراع، والتوتر بين الأفراد

وإبراز تجليات القوة والسلطة والأيديولوجيا في النصوص. فلا يمكن من مناسبة الجمع بين التحليل النقدي للخطاب ومناهج أخرى خاصة في مشروع بحث ما، إلا على ضوء التقدم في بناء (موضوع البحث) أثناء سيرورة البحث.

يلاحظ أن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع قد حظيت بأهمية كبيرة في الساحة النقدية، نذكر منها ما يلي: التحليل النقدي للخطاب، لمحمد يطاوي وأخرين، وفي "تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي قضايا ونماذج من الواقع المعاصر" للدكتور عبد الرحمن بودرع، و"الخطاب والسلطة" لفان ديك، و"خطاب السلطة وسلطة الخطاب" لخالد بن سليمان القوسي. ولا نجد في هذا الجانب منهجا أنسب من المنهج الوصفي التفسيري لدراسة هذا الموضوع؛ ذلك أنه منهج يتتبع حيثيات الظاهرة اللغوية مفسرا إياها، ومستنبطا خصوصياتها قصد استقراء خصوصيات الواقع. والإشكال الذي يتبادر إلى الذهن يتمثل في ما يلي:

ماهي مفاهيم منهج التحليل النقدي للخطاب؟، وأين تتجلى آلياته؟، وهي أهدافه؟، وما مدى قدرته على تحليل النصوص وتفكيكها؟

المحور الأول: مقاربة مفهومية في ضوء التحليل النقدي للخطاب

1.1 مفهوم الخطاب

لا يمكن التوصل إلى فهم حقيقي للنتائج الاجتماعية للخطاب من دون النظر عن قرب في ما يحصل عندما ينطق المتكلم أو يكتب؛ ذلك أنّ مسار سلطة الخطاب يتنوع حسب مبدأ السياقات المعرفية والفلسفية التي كانت تأخذها الكتابة في تلازمها مع شرط الفهم؛ حيث إن أي تحليل للنصوص إذا ما أراد أن يكون ذا شأن من منظور التحليل العلمي الاجتماعي يجب أن يرتبط بالمسائل النظرية التي تخص الخطاب.

إن التعدد الدلالي لمفهوم الخطاب يعود إلى التعدد الوظيفي، واختلاف المنطلقات اللسانية والأدبية له؛ لذا وجدنا تعريفات مختلفة له، حيث يعد ملفوظا أكبر من النص، ويتضمن أجهزة مفهومية تساعد على التواصل بين الأنا والآخر، وبين الخطاب ومتلقيه. وهو ما يعني أن الخطاب عبارة عن فن مواجهة الآخرين بالكلام، أو هو نظام صياغة الكلام المؤثر في الآخرين وتنظيمه، والتوجه به إليه بطريقة معينة تجعله قادرا على التأثير فيهم وإقناعهم بوجهة النظر التي يتبناها المخاطب (بالكسر) (الحميري، 2008: 12). بحيث يتحرك من الفكر إلى الكلام، بمعانيه ومستوياته وأشكاله المختلفة، ومن الكلام إلى النص، مع اتجاه نحو مقاصد الإفادة أو التلقين أو البرهنة والإقناع. . .

يتضح أن لفظ "خطاب" قد تردد كثيرا بمسميات عدّة، "مثل الخطاب الثقافي، الخطاب الصوفي، الخطاب السياسي، الخطاب التاريخي، الخطاب الاجتماعي. ولذلك ورد الخطاب بتعريفات متنوعة في هذه الميادين العديدة، بوصفه فعلا، يجمع بين القول والعمل، فهذا من سيماته الأصلية. . . وقد ورد لفظ الخطاب عند العرب قديما، كما ورد عند الغربيين، مع درجات من التفاوت أو التقارب في معناه" (بن ظافر الشهري، 2003: 34).

لقد برز لفظ الخطاب في الثقافة العربية في مواضع متعددة؛ "إذ ورد في القرآن الكريم، بصيغ متعددة، منها: صيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ (الفرقان، الآية: 63)، والمصدر في قوله تعالى: ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (النبإ، الآية: 37)، وفي قوله تعالى عن داود عليه السلام: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ (ص، الآية: 20).

قد ورد الخطاب كثيرا عند الأصوليين؛ ذلك أنه يمثل الأرضية التي استقامت عليها أعمالهم، بل كان هو محور بحثهم، حيث تعددت اشتقاقات مادة (خطب) في مواضع مختلفة عندهم، "ومن أبين الأدلة على ذلك إيرادهم لاسم الفاعل (مخاطب) ولاسم المفعول (مخاطب)، بوصفهما طرفي الخطاب" (بن ظافر الشهري، 2003: 36). يقول

الدكتور عبد الرحمن بودرع: "فلا شك أن الخطاب يتأثر بأوضاع اللغة وطرق تنظيم الكلام داخل النص، وحركة ترتيب المفردات، ولكن الذي يطبع كل خطاب بميسم خاص فيتأثر النص بذلك الطابع، هو مقتضيات الخطاب ومستلزماته التي يصنعها سياق الكلام ومقاصد المتكلم وظروف المقام الخارجة عن عهدة النص، وكذلك بناء الخطاب وفق استراتيجية أو تخطيط حجاجي، يلجأ معه المتكلم إلى استعمال وصائل حجاجية تساعده على بناء خطته الحجاجية وتوجيه عملية الفهم والتأويل لدى المخاطب (بالفتح)" (بودرع، 2014: 1211).

وفي اتجاه آخر، يقول محمد يطاوي: "إن الخطاب من وجهة نظر هذه المقاربة حدث اجتماعي تاريخي، ونمطه محدد بواسطة عوامل الحقول الاجتماعية التي أُنتج فيها. ويترتب على فهم هذه العلاقة الثلاثية (الخطاب/المجتمع/التاريخ) أن تحليله النقدي يقتضي الإلمام بكل حيثيات السياق الاجتماعي وأحداثه الكثيرة المتزامنة أو المتعاقبة، والبحث عن تفسيرات عابرة لنطاقات الممارسة النصية، والممارسة التفاعلية الخطابية، والممارسة التفاعلية الخطابية، والممارسة الاجتماعية؛ لأن التاريخ محتضن للجميع" (يطاوي، 2018: 366).

ويشير إلى أن الخطاب تضام من البنى المختلفة والمتضافرة التي تصطف لتترجم الفحوى، والفحوى نفسه قد يكون مخادعا أو بريئا؛ ذلك أن المستويات اللغوية للخطاب تُضمِر حقيقته وقصدَ صانعه من وراء البنى المصطفة، وحتى المتخصص في تحليل الخطاب عاجز عن الحسم في هذا الفصل كذلك، إن لم يدرك نسق التداخل الذي يحكمه (يطاوي، 2019).

وقد نظر إلى الخطاب في الوعي البياني بوصفه جنسا خاصا من الكلام، لذلك وجدنا بعض المتقدمين من علماء الأصول يعرف الخطاب بأنه (الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيئ للفهم). وهذا يقتضي الكلام الموجه توجيها مباشرا من مخاطب بعينه إلى مخاطب بعينه في سياق أو مقام بعينه لتحقيق غاية بعينها، هي إفهام ما هو متهيئ لفهمه (المرجع السابق، 2019).

وكما يمكن أن نميز في الاستعمال المعاصر بين الخطاب بمعنى النص الموحّد المتماسك، من حيث الموضوع أو الموقف، والخطاب بمعنى النظام اللغوي بوصفه شبكة من علاقات المعرفة الاجتماعية" (بودرع، 2014: 10). فالخطاب يحمل في صلبه النص اللغوي في بنائه وتماسكه، ويزيد عليه بإدماج أطراف التخاطب ومقاصد الخطاب وظروف الزمان والمكان التي تنجز فيها أفعال الكلام (المرجع السابق، 2014: 10).

يلاحظ أن الخطاب يختلف تعريفه ويتباين معناه من باحث لآخر، ويعود ذلك إلى الاستعمال الواسع له في حقول معرفية متعددة، فإذا نظرنا في قول الدكتور عبد الرحمن بودرع تبين لنا ذلك التدرج في المفهوم انطلاقا من حديثه عن ثنائية دوسوسير إلى الخطاب بمعناه الواسع الذي يراعي السياق الذي أنجز فيه الكلام، وهو رأي محمود؛ لأنه لم يقف عند جانب واحد ووحيد للخطاب، في حين نجد محمد يطاوي قد لامس الخطاب من حيث اعتباره حدثا اجتماعيا تاريخا، حيث لا يمكن الخروج في نظره عن هذا القطب الثلاثي (الخطاب/المجتمع/التاريخ).

في حين هناك من عرفه، "بالنظر إلى ما يميزه بالممارسة داخل إطار السياق الاجتماعي بغض النظر عن رتبته حسب تصنيف النحويين، أي بوصفه جملة أو أكثر أو أقل فلا فرق بين هذه المستويات النحوية في الخطاب؛ لأنه (الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، والمقصود بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم معين في مقام معين" (المرجع السابق، 2014: 37).

يقول خالد بن سليمان القوسي: "الخطاب هو أحد أهم المصطلحات التي شاعت في الدراسات اللغوية والفلسفية قديما وحديثا، فالخطاب ليس مصطلحا جديدا، لكنه كيان يتجدد مع كل مرحلة زمنية جديدة، بحيث تنسجم دلالته مع متطلبات تلك المرحلة" (بن سليمان، 2015: 50).

وتبدأ دلالة الخطاب في الغرب من عند اللغوي الأمريكي ((سابوتي زليق هاريس)) حين حاول تقديم الخطاب كمتوالية من الملفوظات ذات علاقات معينة، فهو وحدة لغوية قوامها سلسلة من الجمل، أما الباحث الفرنسي ((بنفنست)) فيقدم تعريفا آخرا للخطاب لا يقف به عند حد الملفوظات، فالتلفظ هو الفعل الحيوي في إنتاج نص ما، وهو مقابل للملفوظ باعتباره الموضوع اللغوي المنجز والمستقل عن الذات التي أنجزته (المرجع السابق، 2015: 51). يقول الدكتور عبد الرحمن بودرع: "إن الخطاب رؤية معينة للغة المستخدمة في المجتمع أو طريقة في التعبير اللغوي عن الفعل الاجتماعي، وهو بهذا المعنى عنصر يشارك في تكوين الأحداث الاجتماعية. ويسهم في إحداث تغيير في معارف الناس ومواقفهم وقيمهم" (بودرع، 2014: 18).

2.1 تحليل الخطاب

يلاحظ أن تحليل الخطاب ذي الأساس اللغوي (تمييزا له عن الخطاب المفترض ذي الأساس المجازي كالصور والإشارات والأيقونات وغيرها)، لا يقوم ولا يتحصل إلا بشرط المرور عن طريق لسانيات النص؛ لأن هذه اللسانيات مرحلة في بناء الجسم اللغوي للنص، فإن لم يتحقق شرط البناء اللغوي المتماسك الذي يؤلف بين أجزاء النص المنجز ومؤلفاته، فلا يتصور قيام خطاب يستحق التحليل (المرجع السابق، 2014: 18). قال الدكتور عبد الرحمن بودرع: "لقد أصبحت اللغة، مع تحليل الخطاب، منبرا للتحاور والإقناع ومخبرا لصنع السياسات، وتحول الاجتماع البشري والسياسة والاقتصاد والأدب والإعلام إلى حقول تطبيقية للخطاب اللغوي، تخلع فيه من وسائل إقناعية وطرق حجاجية ترشد وتوجه وتقنع وتختصر على المخاطب (بالفتح) المسالك والمتاهات"" (المرجع السابق، 2014: 13).

صحيح؛ أن هناك صلة وطيدة بين لسانيات النص وتحليل الخطاب؛ ذلك أن الأولى تمثل الركيزة الأساس التي تقوم عليها الخطابات بمختلف أنواعها؛ حيث لا يمكن تفسيرها أو تحليلها إلا إذا نظرنا إلى تلك العلاقات الداخلية والخارجية للنصوص. من هنا؛ تبرز الخطابات باعتبارها فسيفساء لنصوص عدّة، وتهدف إلى تحقيق الإقناع والاقتناع من خلال التحاور والتناظر.

وأضاف عبد الرحمن بودرع: "ظهر من الباحثين من ذهب إلى أن (تحليل الخطاب أداة مساعدة تستعير منها علوم أخرى، كعلم الاجتماع وعلم النفس واللسانيات، ما به نستطيع تأويل عدد من الخطابات. . . وهو موقف لا ينأى كثيرا عمن ينزل تحليل الخطاب منزلة الفلسفة معتبرا إياه من قبيل الفضاء النقدي الذي تتم فيه معالجة جملة من القضايا لم يجد لها الباحثون حلولا في إطار العلوم التي ينتمون إليها، فقاموا بتحويلها من دوائر اختصاصهم إلى فضاء آخر هو تحليل الخطاب، عساهم يظفرون في هذا الفضاء الجديد بأدوات وطرائق تعينهم على فض تلك القضايا)" (المرجع السابق، 2014: 14).

يقول الدكتور عبد الرحمن بودرع: "ليس تحليل الخطاب مجرد تحليل للنص وشرح له، ولكنه يربو على ذلك إذ يعنى تحليل الخطاب أيضا بمواقع المتكلمين الاجتماعية وخصائصهم التلفظية التي تمنح خطابهم هوية تلفظية خاصةEnonciative identity، فكل خطاب اختيارات يختارها ومواقع يتخذها وألفاظ يتوسل بها وأسلوب يميزه عن غيره من فنون الخطاب وأنواعه، وهذا ما يثبت هوية الكاتب الاجتماعية والمذهبية والفكرية" (المرجع السابق، 2014: 14).

وبناء عليه؛ فإن تحليل الخطاب هو مجال لساني نصي ونقدي، يرتبط بتحليل النصوص والقضايا المرتبطة بها؛ من أجل الوصول إلى القضايا الكبرى المتعلقة بالخطابات، وهو مجموع المستويات التي تعكس فكر الإنسان ومشاعره وشخصيته، قصد بلوغ الملامح الجمالية للإبداع.

3.1 التحليل النقدي للخطاب

واضح أن الجهاز المفهومي لنظرية التحليل النقدي للخطاب يتميز بالتنوع والغزارة، "وإن كانت مصطلحاته اللسانية مضبوطة وواضحة. فإن كون النظرية متصلة بالقضايا المجتمعية جعلها تستقطب مصطلحات من حقول معرفية متعددة. فبالنسبة للمصطلح اللساني، نلفي توليفا ضخما بين مصطلحات كثير من الشعب اللسانية، كتحليل الخطاب ولسانيات النص والبلاغة والتداولية والوظيفية واللسانيات النقدية. ولعل هذا الثراء المصطلحي معزو إلى حرص النظرية على تعقب جزئيات النصوص والخطابات في جميع مستوياتها، لاستنطاق اللغة والإجراءات الخطابية" (يطاوي، أبريل 2018: 379). يقول نورمان فاركلوف بأن "التحليل النقدي للخطاب يشكل، بمعنى ما، منهجا تحليليا، من المرجح أن تشكل أي مناهج تستخدم في بحث معين يعتمد على التحليل النقدي للخطاب خليطا يجمع بين منهج هذا التحليل وغيره" (فاركلوف، 2009: 387).

يقول توين فان ديك: "إن مبادئ تحليل الخطاب النقدي موجودة بالفعل في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت قبل الحرب العالمية الثانية (Agger b1992، Rasmussen 1997)، وبدأت تلك المبادئ التركيز على اللغة والخطاب فضلا عن اندماجها مع "اللسانيات النقدية critical linguistics" (ومعظمها في المملكة المتحدة وأستراليا) في نهاية السبعينيات" (فان دايك، 2014: 190).

إن التحليل النقدي للخطاب يستند إلى اعتبار سيرورة المعنى مكونا في كل السيرورات الاجتماعية المادية لا يمكن تجاوزه؛ حيث يمكن اعتبار الحياة الاجتماعية مجموعة شبكات مترابطة من الممارسات الاجتماعية المتعددة الأنواع (اقتصادية، سياسية، ثقافية، عائلية. . . إلخ) (نورمان، 2009، 375.374). يقول نورمان فاركلوف: "التحليل النقدي للخطاب يعنى على وجه الخصوص بالتغيرات الجذرية التي تلحق بالحياة الاجتماعية المعاصرة: مكان الخطاب في سيرورات التغيير، والتحولات في العلاقات بين الخطاب وسيرورات المعنى عامة من جهة والعناصر الاجتماعية الأخرى في شبكات الممارسات من جهة أخرى" (المرجع السابق، 2009: 376).

ويحيل مفهوم التحليل النقدي للخطاب إلى إحدى المقاربات اللسانية الحديثة التي "عنيت بالاشتغال على اللغة متخطية نطاق الجملة، والعلاقات الداخلية للنصوص. وهي مقاربات تندرج كلها في إطار نظرية تحليل الخطاب منذ تأسيسها في فترة الستينات" (المرجع السابق، 2009: 356). يقول فاين دايك: "لا يعد تحليل الخطاب النقدي اتجاها ومدرسة أو تخصصا إلى جانب "المقاربات" العديدة في دراسات الخطاب، بل يرمي إلى تقديم "وسيلة" أو "منظور" مختلف في وضع التنظير والتحليل والتطبيق في الحقل برمته، فقد نجد منظورا أكثر أو أقل أهمية في المجالات المختلفة كالتداولية، وتحليل المحادثات، وتحليل السرد، والبلاغة، والأسلوبية، وعلم اللغة الاجتماعي. . . " (فان دايك، 2014، 189). يقول نورمان فاركلوف: "إن التحليل النقدي للخطاب منهج يمكنه أن يستعير من المناهج الأخرى. وتتضمن هذه الأخيرة أيضا مناهج التحليل الألسني العيني (corpus linguistics)" (نورمان، 2009: 386).

ونرى حسب معجم "المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب" "لدومنيك مانغو" أن موضوع تحليل الخطاب: "إنما ينبغي أن يكون نظرا في آليات التلفظ التي تربط تنظيما نصيا محددا بموقع اجتماعي معين؛ وباعتباره فنا من فنون دراسة الخطاب فإنه يمكنه أن يهتم بالكتابات نفسها التي تتناولها اللسانيات الاجتماعية وتحليل المحادثة؛ فدراسة خطاب عيادة طبية يجب على الدارسين أن يأخذوا فيه بعين الاعتبار قواعد الحوار (موضوع تحلي المحادثة) والتنوعات اللغوية التي هي موضوع اللسانيات الاجتماعية (مخنفر، 2018: 51).

يقول محمد يطاوي: " (التحليل النقدي للخطاب C. D. A) (هو نوع من أبحاث تحليل الخطاب التي تدرس في المقام الأول طريقة سوء استخدام السلطة الاجتماعية)؛ إذ تفضح خبايا النصوص بوصف البنى اللغوية القائمة

فيها، والعلاقات الداخلية، ثم تستنطقها بخصوص المرامي الحقيقية التي تسعى إلى تحقيقها. فالتحليل النقدي يقدم فحصا للنص على مستوى الاختيارات التنظيمية للبنية الداخلية" (يطاوي، 2018: 358).

ويتبين من خلال العلاقة الوثيقة بين الخطاب والمجتمع بأن التحليل النقدي للخطاب هو تحليل للعلاقات بين الخطاب والعناصر الأخرى في الممارسات الاجتماعية، وهو يعنى على وجه الخصوص بالتغيرات الجذرية التي تلحق الحياة الاجتماعية المعاصرة: موقع الخطاب في سيرورات التغيير، والتحولات في العلاقات بين الخطاب وسيرورات المعنى عامة من جهة، والعناصر الاجتماعية الأخرى في مكونات السياق الاجتماعي. فكل خطاب يصبح ممارسة اجتماعية تجد لنفسها موقعا بين باقي عناصر المجتمع (المرجع السابق، 2018: 357)؛ ذلك أن ظهور التحليل النقدي للخطاب جعل من أهداف هذا المنهج النقد والكشف عن مواطن السلطة والهيمنة الاجتماعية من خلال توظيف اللغة (مخنفر، 2018: 51).

يقول نورمان فاركلوف: "التحليل النقدي للخطاب "هو تحليل للعلاقات بين الخطاب (يتضمن اللغة وأشكال سيرورة المعنى الأخرى، كالتعبير بالجسد والصور المرئية) والعناصر الأخرى في الممارسات الاجتماعية. وهو يُعنى على وجه الخصوص بالتغيرات الجذرية التي تلحق بالحياة الاجتماعية المعاصرة" (نورمان، 2009: 376).

في حين يمثل تحليل الخطاب النقدي في منظور فان دايك نمطا "من بحوث الخطاب التحليلية التي تدرس . أساسا . طرائق تنفيذ سوء توظيف السلطة واستمرارها ومقاومتها والهيمنة الاجتماعية وعدم المساواة بواسطة النص والحديث في السياق الاجتماعي والسياسي، ويتمكن محللو الخطاب النقدي في مثل هذا الحقل البحثي من اتخاذ موقف يتحدى السلطة الاجتماعية المهيمنة بوضوح، لكي يفهموا ويفضحوا عدم المساواة الاجتماعية ومن ثم يقاومونها" (فان دايك، 2014: 189). يقول فان دايك: "يعد تحليل الخطاب النقدي جزءا من تقاليد الليبرالية المعاصرة التي ترفض احتمالية وجود علم خال من الانحياز لقيم ما value-free science"، وبدلا من ذلك، نجد أن تحليل الخطاب النقدي يتبنى فكرة أن العلم جزء من البنية الاجتماعية ويتأثر بها" (المرجع السابق، 2014: 190).

إذا كانت لسانيات النص تركز اهتمامها على دراسة العلاقة الوطيدة بين مقومات النص وقضاياه؛ فإن التحليل النقدي للخطاب منهج يعتمده الدارس لدراسة الوشائج الرابطة بين الخطاب والمجتمع، مبرزا تلك الهوة الفاصلة بينهما، وموضحا الآليات والمفاهيم (السلطة، الهيمنة، السياق الاجتماعي والسياسي) المعتمدة لبناء العلاقة وتوطيدها، مما يساعد الدارس على ملامسة مواطن الجمال في الخطاب العربي.

وبهذا المعنى، يكون الخطاب قد انتقل من شبكة العلاقات النصية إلى أخرى اجتماعية. غير أن دخوله في علاقات تفاعلية مع عناصر المجتمع يصبح مبتغى المنهج الذي ينهجه التحليل النقدي للخطاب؛ أي إبراز ما لعاقات الخطاب الجديدة من تأثيرات وتأثرات. فأما عناصر الممارسات الاجتماعية فمتنوعة افتراضا وحقيقة، وقد تضم الأفراد أو المؤسسات أو الأسواق، أو جل أنواع الخطابات الأخرى الموازية (يطاوي، 2018: 357). وهو ما أشار إليه نورمان فاركلوف، ذلك أنه يمكن الجمع بين التحليل النقدي للخطاب بمختلف أنماطه والتحليل الاقتصادي السياسي والتحليل الاجتماعي. في الواقع، هناك الآن عدد كبير جدا من الباحثين في اختصاصات كثيرة يحاولون المزج بين التحليل النقدي للخطاب ومصادر نظرية وتحليلية أخرى (نورمان، 2009: 387).

ويعرف "توين فان ديك" أحد الرواد البارزين للتحليل النقدي للخطاب على أنه ظاهرة اجتماعية متعددة الأبعاد، وهو في الوقت نفسه شيء لغوي (لفظي ونحوي) تتابع كلمات أو جمل ذات معنى، وحدث /فعل (مثل تأكيد أو تهديد)، وشكل للتفاعل الاجتماعي (مثل محادثة) وممارسة اجتماعية (مثل مناظرة برلمانية) ومنتج ثقافي (مثل الروايات المتلفزة) (مخنفر، 2018: 51). تقول حفيظة مخنفر: "يعرف "توين فان ديك" في كتابه "الخطاب والسلطة" التحليل النقدي للخطاب على أنه نمط من بحوث الخطاب التحليلية التي تدرس طرائق تنفيذ سوء توظيف السلطة

واستمرارها ومقاومتها والهيمنة الاجتماعية وعدم المساواة بواسطة النص والحديث في السياق الاجتماعي والسياسي" (المرجع السابق، 2018: 51).

يقول محمد يطاوي: "إن ما أنتجته مقاربات تحليل الخطاب المتقدمة على (CDA) يقدم نفسه باعتباره تراثا لسانيا يقتصر على الوصف الداخلي للعلامات اللغوية في الخطابات، مع انفتاح مبكر على عمليات الإنتاج والاستعمال وكيفيات التواصل، والتفاعل بين الخطاب وعناصر السياق الحقيقي الذي يحتضنه" (يطاوي، 2018: 357).

من ثم؛ تمكن محللو الخطاب النقدي في مثل هذا الحقل البحثي من اتخاذ موقف يتحدى السلطة الاجتماعية المهيمنة بوضوح لكي يفهموا ويفضحوا عدم المساواة الاجتماعية ومن ثم يقاومونها. وينظر في ظلها للخطاب على أنه حدث للتواصل يشمل التفاعل المحادثاتي والنص المكتوب، وكذلك الإيماءات وتعبيرات الوجه (مخنفر، 2018: 51).

يتضح أن التحليل النقدي للخطاب وعاء لساني ثقافي يرتكز على إبراز الصيغ اللغوية في الخطابات، وتحليل القضايا المجتمعية، وكشف السلطة المهيمنة، وفضح عدم المساواة الاجتماعية.

المحور الثاني: الخطاب والسلطة

1.2 الخطاب السلطوي

ينصرف الاستخدام الشائع للخطاب إلى خطاب السلطة الحاكمة، بقصد التأثير على المحكومين، بأفكار ومضامين سياسية، غير أنه يشمل خطاب المعارضة، فهو يحمل، غالبا، الأهداف والسمات ذاتها (مخنفر، 2018: 51). ويشكل نسيجا لغويا منطوقا ومكتوبا، مترابطا منسجما ومشحونا بالسياسة فكرا وسلوكا، تفاعلا وممارسة، فاعلين ومتفاعلين، في سياق مخصوص (اجتماعي، لغوي، زماني، مكاني) ومعرفة وإشكالات، المكتمل في دلالته بذاته، ذو الغرض الاتصالي والخصوصية التداولية (المرجع السابق، 2018: 49). فالخطاب السلطوي ممارسة سياسية تتمثلها القوى، تحت مخطط نسقي ومعرفي، هدفه تشكيل واقع سياسي، وخلق تجاوب فعال نحو ذلك الواقع المنشود. وهو مدونة خطابية مكونة من بنيات معقدة تشكلها الدلالة اللغوية. فهو نتاج اللغة وبها يوظف مقولاته السياسية ويتأسس كخطاب (المرجع السابق، 2018: 49).

ومن هنا يقرن "بارث بين السلطة واللغة، فاللغة مرتبطة ارتباطا وثيقا بكل السلطات، بمظاهرها وآلياتها المختلفة. ولا يمكن تخيل أي من آليات السلطة دون اللغة، أو السيميولوجيا بشكل أوسع، فخطاب السلطة حاضر في التبادل الاجتماعي، وفي الدولة، وعند الطبقات والجماعات، ومظاهر الحياة كافة. وبناء على ذلك فإن الحرية بمعناها الحقيقي تعني الانفلات خارج اللغة، لكن اللغة البشرية لا خارج لها (المرجع السابق، 2018: 59). لكن لا يمكن تصور علاقات مؤثرة اجتماعيا وسلطويا انطلاقا من تفاعل البنى الخطابية والبنى الاجتماعية فحسب؛ إذ إن الممارسات الاجتماعية السلطوية عبر لغة الخطاب لا يمكن أن تفلح في مسعاها إلا في إطار ما يسميه: "عملية الإدراك الاجتماعي المعقدة. التي تشمل . على سبيل المثال . نماذج عقلية أو غيرها من التمثيلات الإدراكية للمشاركين (يطاوي، 2018: 357).

2.2 سلطة الخطاب

إن أي إنتاج للخطاب، داخل أي مجال، وفي أي عصر من العصور، لا بد له من الخضوع لسلطة الخطاب السائد الذي يقوم بعملية الانتقاء والتنظيم، كما يقوم بإعادة توزيع هذه الإنتاجات، بموجب إجراءات لها دور إبعاد سلطاته، ومخاطره، والسيطرة على حادثه الاحتمالي، وإسقاط ما فيه من مادية ثقيلة (الحميري، 2008: 187).

ينبني مصطلحا: الخطاب والسلطة على ثيمات تختزل كثيرا من أطر التنظير التي تتنازعها تفسيرات مختلفة تقوم على سلطة المعرفة التي توجه أصحاب النظريات المتعلقة بهذا السياق؛ حيث إن البحث في الجانب النظري يستلهم الرؤية الفلسفية في تفسير علاقة الخطاب بالسلطة سيفضي إلى دعم أو تحسين العناصر المعرفية التي يتكئ عليها الباحثون في هذا المجال، كما أن التطبيق سيسفر عن ضبط بعض القيم النظرية وفق تطبيقات الخطاب المبحوث؛ للكشف عن الاستراتيجيات الخطابية في إنتاجه، والمحيط الفكري المتصل بالخطابات الأخرى المنتجة في ظل التجربة الاجتماعية والحضارية الواحدة أو المتقاربة على أقل تقدير (السليماني، 2015: 642).

يرتبط الخطاب بالسلطة ارتباطا وثيقا على نحو جعل من الخطاب نفسه سلطة ما تنفك تفرض شروطها على المتخاطبين به أو المتداولين له باستمرار. وهو ما أكدته الآية الكريمة التي قال فيها تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبإ، الآية: 10)؛ إذ أن الخطاب لا ينفصل عن السلطة، بل هو على علاقة تلازمية (بله جدلية) معها؛ لذلك نجد أن من شأن الخطاب ـ عند فوكو ـ أنه يحتوي على آليات سلطوية تمكنه من الهيمنة، من جهة، ومن إنتاج ممارسات خاصة به، من جهة ثانية، فالخطاب يتحرك وينتج السلطة كما يهيمن وينتج مؤسساته الخاصة التي تكون صورة للنظام، وطرائق "المنع" و"المراقبة" الخاصين به؛ ومن ثم فالحديث عن الخطاب يضمن ـ بالضرورة ـ الحديث عن "سلطة الخطاب"؛ وذلك من حيث إن للخطاب سلطة تنبع من طبيعته هو نفسه، بوصفه نظاما (السليماني، 2015: 187).

إذا كان النص كيانا لغويا ينبني على العديد من المفاهيم والآليات والقضايا التي تفرض نفسها على الآخر، وتجعل للنص سلطة، يلتزم بها القارئ أثناء تحليله له؛ فإن الخطاب لا يخلو هو الآخر من سلطة تفرض شروطها ومقتضياتها على المتلقين، وبدونها لا يمكن أن نتحدث عن ذلك التحاور والتناظر بين الطرفين؛ وهو ما يطلق عليه الدارسون سلطة الخطاب أو أفق الخطاب.

3.2 آليات سلطة الخطاب

يعد الخطاب ملفوظا كبيرا من الملفوظات التي تمكن الأفراد من التخاطب بآليات لسانية داخل جماعات إنسانية مختلفة؛ ذلك أن الخطاب يستمد من "نهج التفكير الأسطوري الذي لا يفصل اللغة عن العالم الذي تدل عليه، وهو نهج في تصور اللغة لا يزال موجودا في حياتنا الثقافية حتى اليوم" (الحميري، 2008: 199).

يقول عبد الواسع الحميري: "قد يستمد الخطاب سلطته من كونه ـ حسب السوفسطائيين ـ يمثل فضاء يلتقي فيه الإنسان بالإنسان، وفي إطاره يمكن لهما أن يتجادلا في الآراء والمعتقدات، وكل ضروب التفاوض التي تنشأ بين إنسان وإنسان، وشخص وشخص، وليس مجرد فضاء لبناء المعارف من أي نوع" (المرجع السابق، 2008: 199).

غير أن غياب السلطة لا يحرم المرسل امتلاكها من خلال عملية التلفظ بأنواع متعددة من الخطابات؛ فالسلطة لم تعد تكمن في ((أنا)) المرسل، بقدر ما تكمن في إنتاج (الأنا) للخطاب، والذي يمكنه من التفاعل والتفاهم مع الآخر؛ وذلك "بتفعيل عدد من المهارات، واستثمار عدد من "الخصائص اللغوية في السياقات المناسبة لها. وبالتالي فإن التلفظ بالخطاب يصبح هو الذي يكسب (الأنا) السلطة، لا العكس، ويبرز ذلك باستعمال الآليات والأدوات اللغوية التالية" (بن ظافر الشهري، 2004: 245):

- تغييب المرجع.
- حذف المرجع أو إرجاؤه.
- تداولية الدلالة.
- الانتقال من السلطة إلى المرجع.

يمارس الخطاب سلطته "من خلال مجموع القواعد والإجراءات التي يفرضها لتحدد ما هو سوي أو عقلاني، وهي قواعد وإجراءات من شأنها أنها- حسب فوكو- تنجح في إخراس ما يخرج عنها، أو يخالفها، فالأفراد الذين يعملون في إطار ممارسات خطابية معينة لا يمكنهم الكلام أو التفكير دون الاذعان إلى الأرشيف المختزن؛ غير المنطوق من القواعد والنواهي، وإلا أصبحوا عرضة للإدانة بالجنون، أو أرغموا على الصمت" (الحميري، 2008: 199).

وتستطيع وسيلة الإعلام بوصفها إجراء عمليا ومرسلا أن تمتلك السلطة في هذا الخطاب؛ اعتمادا على معرفة المرسل باللغة في مستواها الدلالي، فكل دال له مدلول معروف في ذهن طرفي الخطاب، وقد يتلفظ المرسل بهذا الخطاب مستعملا لفظ (خبر) على أنه مبتدأ، وهو نكرة، وهذا دليل على غياب مرجع كلمة (خبر)، فهو هنا مرجع غير محدد، وزاد في تغييبه عندما وصفه بصفة (العجلة)، مما يشير إلى أهميته (بن ظافر الشهري، 2013: 245).

أشار عبد الواسع الحميري نقلا عن فوكو إلى آليات سلطة الخطاب، حيث صنفها في مجموعات ثلاث، تتفرع عنها إجراءات فرعية نجملها في الآتي (الحميري، 2008: 200):

أ- الإجراءات الخارجية: وتتشكل هذه الإجراءات الخارجية من عمليات: المنع والقسمة والرفض وإرادة المعرفة:

1. وتظهر عملية المنع: من كوننا لا نملك الحق في قول كل شيء، ولا أي شيء، في أي ظرف.
2. أما عملية القسمة والرفض: فيجسدها التعارض بين العقل والجنون الذي درسه فوكو بتفصيل وعمق نادرين، أظهر فيه أن خطاب المجنون لم يعد . كما كان يظن . خطابا فارغا. . . بل غدا – خطاب الأحمق- بمثابة الموقع الذي نمارس فيه عملية القسمة والرفض.
3. أما عملية إرادة المعرفة والحقيقة، وهي العملية الثالثة، فمن شأنها أنها تبين ما هو حقيقي.

ب- الإجراءات الداخلية: وهي تختلف عن الإجراءات الأولى الخارجية، من حيث إنها تخص الخطاب ذاته، وتمارس مراقبتها الخاصة على شكل مبادئ للتصنيف والتنظيم والتوزيع. وتتمثل هذه الإجراءات فيما يسميه فوكو:

1. التعليق: وهذا انطلاقا من أن كل ثقافة، في نظر فوكو، لها نصوص أساس، تقوم بقراءتها، وتأويلها، وإعادة قراءتها؛ سواء تعلق الأمر بنصوص قانونية أو أدبية أو دينية.
2. المؤلف: وعى هذا المستوى فقد اتخذ فوكو من المؤلف موقفا قريبا من موقف بارث الذي أعلن عن "موت المؤلف" باسم النص، حيث يرى أن المؤلف شخصية حديثة النشأة، ووليدة المجتمع الغربي (الحميري، 2008: 200).

يعد استعمال الإشاريات من مظاهر امتلاك السلطة، عن طريق الاحتفاظ بحق تحديد المرجع المقصود. وبهذا يظل تفسير الخطاب رهن رغبة المرسل. ويمتلك السلطة بهذه الآلية، عندما يستعملها في خطابه (بن ظافر الشهري، 2013: 246)؛ حيث إن أداة الإشارة التي تحيل على المرسل من أهم الإشاريات التي يستعملها لتأكيد سلطته أو إبداعها، وهي تستعمل كثيرا. وهذا الاستعمال دارج عند الإعلاميين في كتاباتهم أو في لقاءاتهم؛ حيث يرى بعضهم أنه ذو سلطة، حتى إن هذا الاستعمال قد يثير سؤالا لدى المرسل إليه فيسأل المرسل: من أنت (المرجع السابق، 2013: 246).

يقول محمد يطاوي: "يسعفنا هذا التشريح لدائرة الخطاب ودائرة السلطة، في أن نستخلص الدور المنوط إلى اللغة؛ إذ أن الاختيارات اللسانية (المعجمية والتركيبية والأسلوبية والدلالية والبلاغية) هي الآليات المادية الكفيلة بإعادة صياغة الممارسة الاجتماعية للحدث موضوع العملية الاتصالية، وكل ما تعلق بها من خصائص ثقافية وإدراكات اجتماعية وسياقات تاريخية) (يطاوي، 2019).

من ثم؛ يمكن القول إن الحقول المعرفية واللسانية كافية وحدها لبناء الخطابات وكل ما يرتبط بها من خصوصيات اجتماعية وثقافية، وهي نفسها آليات يتوسل بها لبناء سلطته اللغوية في الممارسات السوسيو ثقافية.

خاتمة

تعدّ اللغة ركنا من أهم أركان السياسية، فهي أداة إقناع وإخضاع، ومن خلالها يتم قلب الحقائق، وتبديل القناعات، وكسبب التأييد. وترتبط سلطة اللغة بالمؤسسات الدينية والتربوية، والسياقات الاجتماعية والتاريخية، التي يتم فيه تدول الكلام، وإلقاء الخطاب. فتزداد درجة السلطة والهيمنة إذا ما ارتبطت اللغة بالدين، فنالت قدسية فوق قدسيتها، وسلطة بجانب سلطتها.

وتشكل الكتابة فعلا تفرضه السلطة والتأويل. وعلى الرغم من تمتع السلطة برصيدها المعرفي المصاحب للإرادة الواعية ولعالم العقل؛ فإن فعل الكتابة يعمل على تحقيق نوع من الانسجام المحمود مع سلطة التأويل. حيث يمثل كل من المنهج والحقيقة رابطا دقيقا بين سلطتي: اللغة والتأويل، وهو ما يجعل اللغة متضمنة لسلطة داخلية تختلف عن سلطة التأويل. من ثم خلصنا إلى العديد من الخلاصات والاستنتاجات أهمها:

- إن التحليل النقدي للخطاب منهج تكاملي مستقل فريد من نوعه، يشكل فسيفساء لمناهج متعددة.
- إن لمنهج التحليل النقدي للخطاب جهازه المفهومي الخاص.
- إن التحليل النقدي للخطاب يقتضي الإلمام بكل حيثيات السياق الاجتماعي وأحداثه الكثيرة المتزامنة أو المتعاقبة، والبحث عن تفسيرات عابرة لنطاقات الممارسة النصية.
- إن الجهاز المفهومي لنظرية التحليل النقدي للخطاب يتميز بالتنوع والغزارة لارتباط النظرية بالقضايا المجتمعية، فبالنسبة للمصطلح اللساني، نلفي توليفا ضخما بين مصطلحات كثير من الشعب اللسانية، كتحليل الخطاب ولسانيات النص والبلاغة والتداولية والوظيفية واللسانيات النقدية.
- إن ظهور التحليل النقدي للخطاب جعل من أهداف هذا المنهج النقد والكشف عن مواطن السلطة والهيمنة الاجتماعية من خلال توظيف اللغة.
- الخطاب السلطوي ممارسة سياسية تتمثلها القوى، تحت مخطط نسقي ومعرفي، هدفه تشكيل واقع سياسي، وخلق تجاوب فعال نحو ذلك الواقع المنشود.
- إن التحليل النقدي للخطاب قد جعل الخطاب يمارس سلطة مزدوجة من الناحية اللسانية وغير اللسانية.

المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم.**

1. بن ظافر، الشهري، عبد الهادي، 2003، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة.
2. بودرع، عبد الرحمن، 2014، في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي قضايا ونماذج من الواقع المعاصر، ط1، الخليج العربي، تطوان.
3. توين، فان دايك، 2014، الخطاب والسلطة، ترجمة: غيذاء العلي، مراجعة وتقديم: عماد عبد اللطيف، ط1، المركز القومي للترجمة: 190.
4. الحميري، عبد الواسع، 2008 الخطاب والنص "المفهوم . العلاقة . السلطة"، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
5. السليماني، عيسى بن محمد بن عبد الله، وآخر، 2015، الخطاب والسلطة (كتاب تحفة الأعيان نموذجا)، ضمن كتاب الكتابة والسلطة، إشراف وتنسيق عبد الله بريمي وآخرون، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

6. القوسي، خالد بن سليمان، 2015، بين خطاب السلطة وسلطة الخطاب، مقال ضمن كتاب "الكتابة والسلطة"، إشراف وتنسيق عبد الله بريمي وآخرون، ط1، داركنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
7. نورمان فاركلوف، 2009، تحليل الخطاب التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة طلال وهبه، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت.

المجلات

1. مخنفر، حفيظة، 2018، مقاربة سوسيو.لسانية لتحليل خطاب الحياة اليومية، مجلة العلوم الاجتماعية، مج 15، ع26.
2. يطاوي، محمد، 2018 المرجعية اللسانية في التحليل النقدي للخطاب (في الأصول ونقد المناهج)، مجلة سياقات، مج3، ع1.

المواقع الإلكترونية

1. محمد يطاوي، 2019/01/01، دائرة الخطاب ودائرة السلطة، الجديد. https: //aljadeedmagazine. com/